

Bible Study

The Epistle of St. Paul to the Romans

رسالة معلمنا بولس الرسول إلي أهل رومية

Fr. Jacob Nadian

St. Bishoy Coptic Orthodox Church of Toronto
Stouffville, ON
Canada

الرسالة إلى أهل رومية

الإصحاح الرابع: حب وبر الله وبر الناس

- شرح القديس بولس في الإصحاحات الثلاثة السابقة أن العالم ليس له عذر في خطيته لأن الأمم كسروا الناموس الطبيعي الذي وهبهم الله، ليس عن ضعف وإنما عن عمد وفي جسارة. فصاروا مقاومين للحق، عاملين ما هو ضد الطبيعة، مفسدين حتى أجسادهم، فرحين ومتهللين بالنفوس الساقطة معهم.

- واليهود أيضاً أخطأوا في تجاهلهم لخلاصهم وعدم إيمانهم بالسيد المسيح الذي تكلم عنه الناموس والأنبياء متحججين بأنهم أبناء إبراهيم أب الآباء وبأنهم وحدهم الذين تسلموا الشريعة والناموس الموسوي وأنهم شعب الله المختار دون سواهم.

- بهذا أصبحت البشرية كلها خاطئة وتستحق عقاب الموت، وفي حاجة إلى المخلص. فلا يحق لأحد أن يفتخر على الآخر لأنهم لم يتبرروا بناموس موسى ولا بالناموس الطبيعي.

الرسالة إلى أهل رومية

"فماذا نقول أن أبانا إبراهيم قد وُجد حسب الجسد، لأنه إن كان إبراهيم قد تبرّر بالأعمال فله فخر، ولكن ليس لدي الله"

[2-1]

- ركّز القديس بولس على شخصية "إبراهيم" لأن اليهود كانوا يشعرون أنهم أحرار لمجرد انتسابهم له بالجسد.
- هذه العقيدة دفعتهم إلى الشموخ والكبرياء عوض أن تدفعهم للحياة بفكر إبراهيم وإيمانه والامتثال به في سلوكه.
- فكان يفند هذه العقيدة، مظهراً أن سرّ قوّة إبراهيم تكمن في إيمانه الحيّ الذي عاشه وهو في العرلة، كما عاش وهو في الختان، لذا فهو أب لأهل العرلة كما لأهل الختان.

الرسالة إلى أهل رومية

- قوله "أن أبانا إبراهيم قد وُجد حسب الجسد؟" [1]، يحدد العلاقة التي تربطهم بإبراهيم كأب إنما هي "حسب الجسد"، الأمر الذي يُضعف صلّتهم به ما داموا لا ينعمون بأبوته خلال إيمانه.
- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم "أنه بهذا يفسح المجال أمام الأمميين ليدخلوا هم أيضاً في قرابة مع إبراهيم خلال الامتثال بإيمانه".
- ولكن لماذا اختار إبراهيم مع أنه قد سبقه هابيل الذي قيل عنه "أنه بار" (عبرانيين 11: 4)، ونوح الذي قيل أنه كان "رجلاً باراً كاملاً في أجياله" (تكوين 6: 9)؟
- أولاً: أن اليهود كانوا يفتخرون بنسبهم لإبراهيم كأب للمؤمنين، فحينما حدثهم السيد المسيح عن الحرّية، "أجابوه: أننا ذرية إبراهيم ولم نُستعبد لأحد قط، كيف تقول أنت أنك تصيرون أحراراً؟" (يوحنا 8: 33).
- فقد أراد القديس بولس أن يفند هذه الحجّة.

الرسالة إلى أهل رومية

- **ثانياً:** لم يُدعِ هابيل ولا نوح أباً للمؤمنين، أما إبراهيم فقال له الله: **"وتكون أباً لجمهور من الأمم" (تكوين 17: 4).**
- **ثالثاً:** يعتبر إبراهيم حلقة الوصل بين أهل الغرلة وأهل الختان، عاش متبرراً بالإيمان وهو في الغرلة، وإذ نال الوعد الإلهي وتمتع بالختان كعلاقة للعهد عاش أيضاً متبرراً بالإيمان وهو في الختان. بهذا ضمّ المؤمنين من أهل الغرلة وأهل الختان في شخصه، خلال الإيمان.
- **رابعاً:** لا ينكر القديس بولس أن لإبراهيم أن يفتخر من جهة الأعمال، لكن ليس لدي الله، لأن ما مارسه من أعمال الناموس كالختان لا فضل له فيه إنما هو عطية الله له خلال العهد الذي أقامه الله معه، وله أيضاً أن يفتخر من جهة الإيمان، بهذا له أن يفتخر لا متعالياً على الله، وإنما يفتخر أنه ارتقى في حضن الله، ليغتصب بالإيمان مواعيد الله وعهوده، ويحسب باراً في عينيه.

الرسالة إلى أهل رومية

- "لأنه أن كان إبراهيم قد تبرّر بالأعمال فله فخر، ولكن ليس لدي الله، لأنه ماذا يقول الكتاب: فأمن إبراهيم بالله فحسب له برأ" [2-3]**
- إن قورن إبراهيم بمعاصريه من البشر فله فخر بأعماله أمام البشر، سواء بكونه أول من أختتن كعلامة عهد بينه وبين الله أو أعظم معاصريه في الأعمال الصالحة. أما أمام الله ففخره الحقيقي أنه اغتصب برّ الله بإيمانه الحي العملي، المُعلن خلال طاعته له سواء بالعبادة له وسط جوّ وثني أو بالخروج من أرضه وعشيرته وبيت أبيه (تكوين 12)، أو عدم محبته للنصيب الأكبر في معاملته مع لوط ابن أخيه (تكوين 13)، أو حُبّه لإضافة الغرباء (تكوين 18)، أو شفاعته عن إخوته في البشرية (تكوين 18)، أو تقديم ابنه ذبيحة (تكوين 22) الخ. هذه التصرفات جميعها وغيرها إنما كانت نابعة عن إيمانه بالله وملتحة به، فجاءت تمجد الله.

الرسالة إلى أهل رومية

- وكما ذكرنا سابقاً في دراستنا لرسالة القديس يعقوب، فالآباء الرسل لا يفصلون الإيمان عن الأعمال، كما هو واضح من الآيات التالية:
"ألم يتبرّر إبراهيم أبونا بالأعمال، إذ قدّم اسحق ابنه على المذبح؟
فترى أن الإيمان عمل من أعماله، وبالأعمال أكمل الإيمان، وتمّ الكتاب القائل: آمن إبراهيم بالله فحسب له برّاً، ودعي خليل الله"
(يعقوب 2: 21 - 23)

- وكما يُعلن القديس بولس أن إبراهيم لم يتبرّر أمام الله خلال أعمال الناموس، كالختان والتطهيرات والغسالات، إنما تبرّر خلال الإيمان الحي، يُعلن أيضاً القديس يعقوب أن إبراهيم لم يتبرّر خلال إيمان شفهي نظري جامد إنما خلال الإيمان المترجم عملياً كذبيحة اسحق، أي خلال أعمال الإيمان الحي.

الرسالة إلى أهل رومية

"أما الذي يعمل فلا تُحسب له أجره على سبيل نعمة بل على سبيل دين" [4]

- لقد آمن إبراهيم وأيضاً مارس أعمال الناموس، إذ قبل الختان في جسده كما ختن ذكور بيته، لكن شتان بين الإيمان وأعمال الناموس.
- فكما يوضح في الآية السابقة، فإن البرّ أعظم من الأجرة التي ينالها الإنسان مقابل أعمال الناموس لأن البرّ يعني عفو الله عن آثامنا، ليهبنا برّه عاملاً فينا فننال مجدّاً أبدياً.
- يقول القديس ذهبي الفم: لا يقدر بولس هذه العبارة اعتباراً، لكنه يودّ القول بأن من عُفرت آثامه بالنعمة نال التطويب، فمن آمن وتبرّر يتأهل بالأكثر للبركة، التي خلالها يُنزع الخزي ليحلّ المجد.

الرسالة إلى أهل رومية

"وأما الذي لا يعمل، ولكن يؤمن بالذي يُبرّر الفاجر، فإيمانه يُحسب له براً. كما يقول داود أيضاً في تطويب الانسان الذي يحسب له الله براً بدون اعمال. طوبى للذين غفرت آثامهم وسترت خطاياهم.

طوبى للرجل الذي لا يحسب له الرب خطية" [5 - 8]

- يخبرنا القديس بولس عن فرح الله بإعطائه البرّ مجاناً لمؤمنيه:

"طوبى للذي غفر آثامه وسترت خطيته" (مزمو 32: 1)

"المحبة تستر كثرة من الخطايا" (1 بطرس 4: 8)

- هؤلاء المؤمنين قد اغتسلوا بدم السيد المسيح الذي يريد توبة الخاطي لا موته (حزقيال 33: 11).

- وقوله "يؤمن بالذي يُبرّر الفاجر"، أي إيماننا وحبنا للسيد المسيح الذي يبررنا بغفران خطايانا وارتباطنا به ارتباطاً أبدياً.

الرسالة إلى أهل رومية

- الإيمان بالسيد المسيح هو أن نؤمن به أنه يُبرّر الخاطي لأنه:

"قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك" (لوقا 19: 10)

- تتبرّر النفس بارتفاعها نحو الله، والتصاقها بذلك الذي يبررها فإنها إذ تتركه تصير شريرة، وإذ تعود إليه تتبرّر.

- مثلاً، متي وُجد شيء ما بارد واقترب من النار يصير دافئاً؟ وعندما يُنزع من النار يبرد! لو أن شيئاً ما كان مظلماً واقترب من النور يصير بهياً، وإن نُزع عن النور يصير مظلماً.

- هكذا النفس في قربها أو بعدها عن الله.

- وقوله: "وأما الذي لا يعمل، ولكن يؤمن بالذي يُبرّر الفاجر، فإيمانه

يُحسب له براً" [5] يحذر فيه اليهود الذين تشامخوا على الأمم بأعمال

الناموس بطريقة حرفية قاتلة لا تبرّر الإنسان، إن لم تحفظ بطريقة روحية، تدفعهم لإدراك الخلاص والتبرير بالمسيح، الذي كانوا ينتظرونه.

الرسالة إلى أهل رومية

"أفهدا التطويب هو على الختان فقط أم على الغرلة أيضاً؟ لأننا نقول انه حسب لإبراهيم الايمان برأ. فكيف حسب؟ او هو في الختان ام في الغرلة؟ ليس في الختان بل في الغرلة. وأخذ علامة الختان ختماً لبر الإيمان الذي كان في الغرلة ليكون أباً لجميع الذين يؤمنون وهم في الغرلة كي يحسب لهم أيضاً البر. وأباً للختان للذين ليسوا من الختان فقط بل أيضاً يسلكون في خطوات إيمان أبينا إبراهيم الذي كان وهو في الغرلة" [9 - 12]

- يؤكد القديس بولس الربط بين الإيمان وأعمال الناموس في حياة إبراهيم دون تعارض، قائلاً: "أخذ علامة الختان ختماً لبر الإيمان الذي كان في الغرلة".
- فالختان هو علامة جسدية جاءت لا معارضة للإيمان، بل خاتمة على إيمانه ومؤكدة له، حتى كل من يحملها إنما يجب أن يلتزم أيضاً بالإيمان.

الرسالة إلى أهل رومية

- وكما نري فإن العلامة جاءت لاحقة للإيمان، إذ آمن إبراهيم حين كان أولاً في الغرلة، وبقي مؤمناً أيضاً وهو في الختان، بهذا أعلن أبوته لأهل الغرلة أن يقبلوا الامتثال به في إيمانه، وأيضاً لأهل الختان أن يفعلوا ذات الأمر.
- يُعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على هذا مظهراً أن اليهود لم يأتوا إلا كضيوف لاحقين لأهل الغرلة، وأنهم أضيفوا إليهم، أي جاءوا إلى بيت الإيمان مضافين إلى إبراهيم الذي قبل الإيمان وهو في الغرلة قبل الختان، إذ إبراهيم هو أب الأمميين أولاً الذين ينتسبون إليه بالإيمان، كما أنه أب اليهود ثانياً، أي أب الجنسيتين، كما هو مكتوب: "ليكون أباً لجميع الذين يؤمنون وهم في الغرلة كي يحسب لهم البر أيضاً وأباً للختان" [11-12]

الرسالة إلى أهل رومية

- هذا وينتسب الأمميون لإبراهيم لا بسبب غرلتهم، وإنما لإقتدائهم بإيمانه، كذلك اليهود لا ينتفعون ببنوتهم له لا لكونهم مختونين، وإنما لأنهم لم يؤمنوا. إذن لك الحق في أبوة إبراهيم إن سررت في خطوات ذلك الإيمان، دون تنازع ولا مشايعة لمناصرتك للناموس.

- هذا ويرى الذهبي الفم أن الختان مجرد علامة حملها إبراهيم من أجل ضعف اليهود، إذ يقول الرسول "ليكون أباً للختان"، لا بمعنى أن يحملوا العلامة جسدياً فيصيرون أبناء له، وإنما يحملون ما وراء العلامة ألا وهو إيمانه. لأن هذه العلامة ليست إلا ختماً للإيمان.

- فإن لم يسع اليهود إلى الإيمان مكتفين بالعلامة التي للجسد، تصير هذه نفاية لا ضرورة لها. هكذا أيضاً لا يليق بهم إذ نالوا الختان أن يحتقروا أهل الغرلة، بل أن يكونوا سنداً لهم، ليكون الكل معاً في ذات الإيمان الواحد.

الرسالة إلى أهل رومية

"فانه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أو لنسله ان يكون وارثاً للعالم، بل ببر الإيمان. لأنه إن كان الذين من الناموس هم ورثة، فقد تعطل الإيمان وبطل الوعد. لأن الناموس ينشئ غضباً، إذ حيث ليس ناموس ليس تعد" [13 - 15]

- ظنّ اليهود أنهم ورثة إبراهيم في نواله المواعيد الإلهية لمجرد تمتعهم بهذه العلامة، أي ممارستهم لأعمال الناموس، متجاهلين التزامهم بالافتقاء بأبيهم في إيمانه.

- بمعنى آخر إن تمسك اليهود بحرفية أعمال الناموس كعلامة لميراثهم، يسلبون الإيمان عمله، ويفقدون نوالهم الوعد الإلهي الذي أُعطي لإبراهيم، أن بنسله تتبارك الأمم.

- على العكس إن كان أهل الغرلة لم يمارسوا أعمال الناموس في حرفيتها، لكنهم بالإيمان صاروا ورثة إبراهيم وحُسبوا أصحاب الوعد كأبناء له.

الرسالة إلى أهل رومية

- الاتكال على أعمال ناموس ليس فقط يفقد الإنسان عمل الإيمان الذي لإبراهيم، ويحرمه التمتع بالوعد الإلهي، وإنما يدخل به إلى غضب الله، لأنه وهو يمارس الأعمال الظاهرة كالختان والغسلات يكسر شرائعه السلوكية، كالوصايا العشر، كقوله:

"لأن الناموس ينشئ غضباً، إذ حيث ليس ناموس ليس تعدٍ"

[15]

- فبدون الناموس يخطئ الإنسان، لكن الغضب ينشأ بالأكثر حيث يوجد الناموس، كاشفاً للخطايا التي يرتكبها الإنسان متعدياً الوصيّة:

"ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به" (غلاطية 3: 10)

الرسالة إلى أهل رومية

- قبل الناموس كان يمكن أن يدعى الإنسان خاطئاً ولم يدعي متعدياً. أمّا وقد أخطأ بعد استلامه الناموس فلم يعد خاطئاً فحسب وإنما متعدياً أيضاً. وهكذا أضيف "التعدي" إلى "الخطية" فكثر الخطية جداً.

- إن كان اليهود بفهمهم الحرفي لأعمال الناموس فقدوا تمتعهم بالوعد ودخلوا إلى الغضب، لا كخطاة فحسب وإنما كمتعدين، فإنه من الجانب الآخر الإيمان يفتح لهم كما لأهل العُرلة التمتع بالبنوة لإبراهيم المؤمن.

الرسالة إلى أهل رومية

"لهذا هو من الإيمان كي يكون على سبيل النعمة، ليكون الوعد وطيداً لجميع النسل، ليس هو من الناموس فقط، بل أيضاً لمن هو من إيمان إبراهيم الذي هو أب لجميعنا" [16]

- يقول القديس يوحنا ذهبي الفم أنه بدون الإيمان لا يخلص أحد، لأن الناموس بالنسبة لأهل الختان لا يبررهم بل ينشئ غضباً، إذ سقط الكل تحت التعدي، لذا جاء الإيمان يرفعهم من الخطر وليس كالناموس.
- بالإيمان يرفع الله اليهود من الخطر كما يرفع أيضاً أهل الغرلة، فيحسب الكل أبناءً لإبراهيم.

الرسالة إلى أهل رومية

" كما هو مكتوب اني قد جعلتك أباً لأمم كثيرة امام الله الذي آمن به الذي يحيي الموتى ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة" [17]

- فكما أن الله هو إله الجميع وليس خاصاً بأمة معينة، هكذا بالإيمان حُسب إبراهيم أباً للجميع حسب الوعد المُعطي له:
"لأنني اجعلك أباً لأمم كثيرة" (تكوين 17: 5)

- والسؤال الآن: من هم الموتى الذين يُحييهم؟ أو ما هي الأشياء الغير موجودة التي يدعوها كأنها موجودة؟
- الآيات التالية تجيب علي هذا السؤال الهام.

الرسالة إلى أهل رومية

"وإذ لم يكن ضعيفاً في الإيمان لم يعتبر جسده، وهو قد صار مماتاً، إذ كان ابن نحو مائة سنة ولا مماتية مستودع سارة. ولا بعدم إيمان ارتاب في وعد الله، بل تقوى بالإيمان معطياً مجداً لله. وتيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضاً، لذلك أيضاً حسب له برأ" [19 - 22]

- ما ناله إبراهيم من وعد كان "على خلاف الرجاء" [18]، إذ لم ينل إنساناً قبله ابناً بهذه الطريقة، وإنما صار هو مثلاً لمن جاء بعده.
- مستودع سارة أو أحشاؤها أشبه بالميت الذي لا يحمل حياة، وقد وهبها الله اسحق حياً خلال هذه الأحشاء الميتة.
- كانت الأمم ميتة بحسب الطبيعة حيث لا تحمل بنوة لإبراهيم حسب الجسد، لكن الله يُقيمها من الموت ويقدمها لإبراهيم أبناء له.

الرسالة إلى أهل رومية

- لقد آمن إبراهيم بوعد الله ونال. لم يعطه الله برهاناً ولا علامة، إنما مجرد كلمات وعد ومع هذا لم يتردد، ولا شك مرتاباً مع أن العائق، مثل كبر السن، كان عظيماً ولكن في إيمان لم يرتاب "في وعد الله، بل تقوى بالإيمان معطياً مجداً لله" [20].
- ليتنا نتعلم أن الله يتم مواعيده معنا مهما كانت العوائق أو المعطلات، ونتعلم من أبينا إبراهيم إذ "تيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضاً، لذلك أيضاً حسب له برأ" [21-22].
- فقد نال إبراهيم الوعد، لا بميلاد اسحق كما من العدم، وإنما بأبوته لأمم كثيرة، لا خلال الجسد وإنما خلال الإيمان.
- إن كانت الخطية قد أفقدت الإنسان حياته وجعلته كمن هو غير موجود، فبالإيمان ينعم الإنسان ببر السيد المسيح كمن قد أقيم من الموت، أو صار موجوداً بعد ضلاله، مثل الابن الضال.

الرسالة إلى أهل رومية

"ولكن لم يُكتب من أجله وحده أنه حُساب له، بل من أجلنا نحن أيضاً الذين سيحسب لنا، الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات، الذي أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا" [23 - 25]

- يؤكد القديس بولس أن ما كُتب عن إبراهيم من جهة إيمانه بالقيامة من الأموات، وإيمانه بالله أن يهبه إسحق من مستودع سارة المُمات، وإيمانه بالله أن يقيمه أباً على شعوب ليست من نسله حسب الجسد، وإيمانه بالله أن يهبه البرّ حياة لمن مات بالخطية، فهذا كله قد كُتب من أجلنا من جهة إيماننا بالسيد المسيح الذي يقيمنا من الموت، ويهبنا برّه حياة جديدة مقامة نمارسها عملياً.

- ولئلا يقول أحد، ما لنا نحن بهذا؟ فارتباطنا بأبينا إبراهيم يجعلنا نتبرر مثله، لأننا نؤمن بنفس الإله الذي آمن به وثق في ذات الأمور التي وثق فيها، فما حدث معه يحدث معنا أيضاً كل يوم.

الرسالة إلى أهل رومية

- إن كان إبراهيم قد نال وعداً بخصوص نسله، يتحقق هذا الوعد فينا بصلب السيد المسيح وقيامته الذي هو من نسل إبراهيم حسب الجسد.

- إبراهيم آمن بنيل بركة مستقبله خلال نسله، إذ يقول السيد المسيح:

"أبوكم إبراهيم تهلّل بأن يرى يومي فرأى وفرح"
(يوحنا 8: 56)

- أمّا نحن فقد تمتّعنا بهذا الوعد بصلب السيد المسيح وقيامته.

- الحديث عن إيمان إبراهيم، هو ملخص لإيماننا، غالباً ما كان نصاً كنسياً تسلّمه الرسل وسلّموه، ألا وهو:

"أسلم من أجل خطايانا، وأقيم لأجل تبريرنا" [25]

الرسالة إلى أهل رومية

- لقد أسلم للصليب بإرادة الآب، كما بإرادته هو:
"الذي بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر
الشرير حسب ارادة الله وأبينا" (غلاطية 1: 4)
"مع المسيح صلبت فأحيا لا انا بل المسيح يحيا فيّ. فما أحياه
الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله الذي
احبني واسلم نفسه لأجلي" (غلاطية 2: 20)
"واسلكوا في المحبة كما احبنا المسيح ايضا واسلم نفسه
لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة" (أفسس 5: 2)
"الذي بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كل اثم ويطهر لنفسه
شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة" (تيطس 2: 14)

الرسالة إلى أهل رومية

- ليكفر عن خطايانا:
"الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار برّه من أجل
الصفح عن الخطايا السالفة بامهال الله" (رومية 3: 25)
"الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا اجمعين كيف لا يهبنا
أيضاً معه كل شيء" (رومية 8: 32)
"وهو مجروح لأجل معاصينا. مسحوق لأجل آثامنا. تأديب
سلامنا عليه وبحبره شفيئنا. كلنا كغنم ضللنا كل واحد الى
طريقه والرب وضع عليه اثم جميعنا" (أشعيا 53: 5 - 6)

الرسالة إلى أهل رومية

- وأقام ليهبنا برّه عاملاً فينا، إذ نحمل الحياة الجديدة المُقامة:
"هكذا المسيح أيضاً بعدما قدم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين
سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه"

(عبرانيين 9: 28)

"لأنكم لهذا دعيتم. فان المسيح أيضاً تألم لأجلنا تاركاً لنا مثلاً
لكي تتبعوا خطواته. الذي لم يفعل خطية ولا وجد في فمه
مكر. الذي إذ شتم لم يكن يشتيم عوضاً وإذ تألم لم يكن يهدد
بل كان يسلم لمن يقضي بعدل. الذي حمل هو نفسه خطايانا
في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر الذي
بجلدته شفيتم" (1 بطرس 2: 21 - 24)

